

أضواء البيان

@ 216 @ أو تقول عليه عاجله بالعذاب ، وأنه لا يقدر أحد على دفعه عنه . جاء معناه في بعض الآيات . كقوله تعالى في يونس : { قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنْ زَيْتُ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ } أي إنني أخاف إن عصيت ربي بالافتراء عليه بتبديل قرآنه أو الإتيان بقرآن غيره . عذاب يوم عظيم . .

وذكر الله تعالى مثل هذا عن بعض الرسل في آيات أخر كقوله عن صالح { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّي وَعَٰتَانِي مِّنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِّرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ } . وقوله تعالى عن نوح : { وَيَا قَوْمِ مَنْ يُنصِّرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُّهُمْ } . قوله تعالى : { قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ } . الأظهر في قوله { بِدْعًا } أنه فعل بمعنى المفعول فهو بمعنى مبتدع ، والمبتدع هو الذي أبدع على غير مثال سابق . .

ومعنى الآية قل لهم يا نبي الله : ما كنت أول رسول أرسل إلي البشر ، بل قد أرسل الله قبلي جميع الرسل إلى البشر ، فلا وجه لاستبعادكم رسالتي ، واستنكاركم إياها ، لأن الله أرسل قبلي رسلاً كثيرة . .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمُ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً } وقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ } . وقوله تعالى : { إِنْ تَآخَوْا حِينَئِذَا إِلَيْكُمْ كَمَا آتَوْا حِينَئِذَا إِلَيْنَا نُوحِ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ } . وقوله تعالى { حم عسق كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وقوله تعالى : { مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } . وقوله تعالى : { وَمَا مُّحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } . وقوله تعالى : { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا وَكَانُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . قوله تعالى : { وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ } .